

موقف الكويت

من التوسع السعودي في نجد وسواحل الإحساء

للدكتور جمال زكريا قاسم

أستاذ مساعد التاريخ الحديث بجامعة عين شمس

سنعنى في هذه الدراسة بتتبع مراحل التوسع السعودي في سواحل الإحساء وما ترتب عليها من تهديد لإمارة الكويت . ولما لم يكن للكويت حدوداً مقررّة أو متفق عليها في المراحل الأولى من عمليات التوسع السعودي فقد ترتب على ظهور السعوديين في السواحل الشمالية من مقاطعة الإحساء تهديداً خطيراً لكيان الإمارة من الناحية الجنوبية ، هذا بالإضافة إلى أنه نجم عن الإغارات السعودية المتكررة اضطراب قبائل كثيرة إلى الاندفاع من ساحل الإحساء إلى الكويت محتمين بمحاکمها أو ملتجئين إليهم مما ترتب على ذلك مشكلات قليلة حادة بين الكويت والسعودية .

ويستدل بما لدينا من المصادر المحلية التي تعرضت لنشاط السعوديين في المقاطعات الشرقية للجزيرة العربية أن التحركات السعودية الأولى على سواحل الإحساء ظهرت بشكل واضح في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر ، وبالتحديد منذ عام ١٧٨٥ حينما وجه الممويون هجواتهم ضد أسرة بنى خالد ، وهي قبيلة من أقوى القبائل العربية التي كانت تقطن السواحل الشمالية من الخليج العربي في ذلك الوقت ، وكان سلطانها يمتد من شبه جزيرة قطر جنوباً حتى البصرة شمالاً بماحاذة ساحل الخليج من ناحية ووسط الجزيرة العربية من ناحية أخرى . ولما كانت تنتشر انتشاراً كبيراً في الصحراء فقد أتاح لها ذلك السيطرة على طرق القوافل التجارية التي تسلك الطريق بين بغداد ونجد^(١) . ولقد بقيت هذه القبيلة التي ظهرت إلى مجال السيطرة منذ أوائل القرن السادس عشر ، وعت في شبه تنظيم سياسى خلال سنوات القرن السابع عشر تتمتع بدرجة كبيرة من اللقوة خاصة أن امتلاكها لمقاطعة الإحساء مكنت لها قدراً كبيراً من الثروة نتيجة لما تشتهر به الإحساء من واحات خصيبة وكان مما يضيف إلى رخائها الزراعى انتماشها من الناحية التجارية إذ أن موانى الإحساء كالقطيف والمقبر كانت تمد بدايات صالحة لانطلاق القوافل التجارية إلى نجد

وأواسط الجزيرة العربية. ولذلك كانت الإحساء مطمح أنظار سكان نجد إذا ما حل
ببلادهم الجذب وقد أبدى شيوخ بنى خالد في مناسبات كثيرة عدائهم للحركة الوهابية
منذ أن قامت وكانوا على جانب كبير من القوة بحيث كان في مقدورهم أن يتقنوا
المركة دائماً إلى قلب نجد واستمر وضعهم على ذلك حتى بدأ مركزهم يتعرض للانحيار
السريع نتيجة للصرعات الأسرية التي أخذوا يتعرضون لها والتي يرجع أن يكون
للسعوديين دخلاً كبيراً في إثارتها. وقد اشتد التحركات السعودية على سواحل الإحساء
في الفترة ما بين ١٧٨٥ و ١٨٩٣ وتميزت بطابع شديد من الإرهاب والقسوة (١).
حقيقة أن الصراع بين الوهابيين وبنى خالد بدأ منذ أوائل النصف الثاني من القرن
الثامن عشر ولكنه لم يتضح إلا في السنوات الأخيرة من ذلك القرن. وقد أمدتنا
المصادر المحلية التي تعرضت للتحركات السعودية ببعض التفاصيل الخاصة بذلك
الصراع. وقد يكون من المفيد في هذا الصدد الرجوع إلى كتابات ابن بشر (٢)
وحسين بن غنام وسيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المعروفة بلع الشهاب.

وفي عام ١٧٩٣ نجح السعوديون في الإطاحة بنفوذ بنى خالد. ذلك أن أسرة
بنى خالد كانت قد وصلت إلى درجة كبيرة من الإعياء الداخلي فضلاً عن أنها أصبحت
غير قادرة نتيجة لعوامل الضعف التي تمكنت منها أن تصدى للتحركات السعودية
التالية التي اشتدت في ضراوتها.

وما لاشك فيه أن بنى خالد كانوا الحاجز الكبير الذي حفظ الكويت من
الخطر الوهابي حتى نهاية القرن الثامن عشر غير أنه بسقوط بنى خالد صار إخضاع
السعوديون للكويت بعد عام ١٧٩٣ أمر كثير الاحتمال. وبالعمل شهدت السنوات
التالية لسقوط الأسرة هجمات سعودية متكررة على الكويت اشتدت في عنفها طوال
فترة إقامة الوكالة الإنجليزية التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية بالكويت عقب
انتقالها من البصرة في الفترة ما بين سنتي ١٧٩٣ و ١٧٩٥.

وكان من الطبيعي أن يطالب السعوديون بتسلطهم على ممتلكات بنى خالد ويعني

(١) أحمد مصطفي أبو حاكمة : تاريخ الكويت ، الجزء الأول ، إصدار لجنة الكويت
ص ٢٢٧ — ٢٢٨ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ج ١ ص ١٠٨ وما بعدها .

ذلك أن تصبح الكويت منطقة من مناطق النفوذ السعودي على الساحل الشمالي للخليج . ولكن استمرت إمارة الكويت محتفظة بوضعها المستقل في وقت كانت فيه القوة السعودية هي القوة المتسلطة على سواحل الخليج العربي . بل وأكثر من ذلك يمكن أن نذهب - وهذا في تقديرنا الشخصي - أن سقوط أسرة بني خالد كان عوناً كبيراً في انطلاق الكويت نحو مرحلة جديدة من مراحل استقلالها .

ولناقشة ذلك يمكن أن نركز على ناحيتين هامتين :

الأولى ، علاقة الكويت بأسرة بني خالد .

والثانية ، العوامل التي أدت إلى احتفاظ الكويت باستقلالها عن السعوديين رغم تداعي نفوذ بني خالد .

في تقديرنا أنه يمكن اعتبار سقوط حكومة بني خالد ميءاء للعلاقات بين الكويت والسعوديين ولا يمكن اعتباره بأية حال بداية خضوع الإمارة للنفوذ السعودي ويمكن أن نوضح هنا حقيقة هامة وهي أنه على الرغم من أن شيوخ الكويت كانوا يقدمون ولاءهم منذ أن تأسست إمارتهم في النصف الأول من القرن الثامن عشر لشيوخ بني خالد إلا أن ذلك الولاء لم يكن إلا من الناحية النظرية (١) ، على الرغم مما تتفق عليه المصادر المحلية أن سيطرة بني خالد كانت تمتد إلى الكويت التي ينسب تأسيسه إلى أحد زعماء هذه الأسرة ويدعى براك ، بناء في بداية الأمر على شكل حصن صغير (٢) ، وحينما قدم آل صباح من أفلاج نجد استقراراً في هذه المنطقة حيث استولوا على هذا الحصن أو سمح لهم آل خالد بالبقاء فيه وتميمه حيث اتخذوا منه

(١) يقرر نيبور بصد ذلك أن النزاع كان يدور دائماً بين الكويتيين المتسكين باستقلالهم وبين شيخ الحسا المطام في احتلال الكويت وإذا ماوجه هذا الشيخ جيشه إلى الكويت لإخضاعه هجرة أهله إلى جزيرة فيلكا كما يؤكد أنه على الرغم من أن شيخ الكويت كان يتبع شيخ الإحساء إلا أنه كان يمارس استقلاله في أحيان كثيرة .

Of. Carsten Niebuhr, Travels Through Arabia & Other Countries in the East, Vol. II, p. 103 ff.

أنظر أيضاً : جاكلين بيرن : اكتشاف جزيرة العرب - ص ١٦٤ .

(٢) عبد الله حاتم : من هنا بدأت الكويت .

منطلقاً لإنشاء إمارتهم (١) . وعلى الرغم من أن آل صباح تمكنوا من ممارسة نفوذهم المستقل في مستقرهم الجديد إلا أنهم كانوا في المراحل الأولى من بدء استقرارهم يرتبطون بشكل أو بآخر بنوع من التبعية لحكام بني خالد ، ولذلك كان من المتوقع حينما داهمت بني خالد الغزوات السعودية في الفترة من ١٧٨٥ إلى ١٧٩٥ أن يبادر آل صباح لنجدتهم لما كان يقضى به العرف أن يتقدم التابع لنجدة متبوعه ، ولكن الشيخ عبد الله بن صباح كان متردداً بين أمرين :

الأول ، تقديم العون لبني خالد ومعنى ذلك أن يستمر على ولائه لهم .
والثاني ، مساعدة السعوديين في إسقاط الأسرة ، وبما لا شك فيه أنه كان يقدر أن الأمر الثاني سيجلب عليه انطلاق الكويت في إحدى المراحل الهامة لتحقيق استقلالها وتخلصها من تبعية بني خالد ، إلا أن الشيخ عبد الله كان يدرك في نفس الوقت قوة الضغط السعودي خاصة في هذه المرحلة التي اندفع فيها السعوديون بشكل تصبى بالغ بهدف نشر الدعوة الوهابية في سواحل الخليج العربي وما قد يترتب على ذلك بالضرورة من تعرض إمارته لخطر مجاورتها لنفوذ السعوديين في الإحساء ، وبالفعل بدأت الكويت تتعرض بشكل واضح منذ عام ١٧٩٣ لمناوشات سعودية خاصة حينما قدم القائد السعودي إبراهيم بن عفيضان بجماعة من قبائل الحرج والعارض والسدير واستحوذ على قدر كبير من الأسلاب ، ولذلك حرص الشيخ عبد الله أن يبدو في مسلكه وقوفه على الحياد في الصراع الدائر ولكن من المؤكد أنه كان يتعاطف مع القوتين المتشابكتين ، وهما العثمانيين وبني خالد ، في صراعهما ضد السعوديين .
وكان تقدير شيخ الكويت أن مشيخته تتمتع باستقلال ذاتي في ظل العثمانيين وبني خالد ولكنه لا يضمن أن تستمر إمارته متمتعة بذلك الاستقلال في ظل السيطرة السعودية على أنه من ناحية أخرى كان حريصاً على ألا يظهر من تقديم الكويت عوناً للعثمانيين وبني خالد تأكيداً لتبعيةها لتبني القوتين ولذلك رأى أن يكتفي بتقديم المساعدات لشيخ المنتفق الذي كلف من قبل والي بغداد بإعداد قوات

(١) راجع في ذلك عثمان بن سند : سبائك المسجد ص ١٨ .

والفناعي : صفحات من تاريخ الكويت ص ١٠/١٢ وبشيء من التفصيل يمكن الرجوع إلى مقالة الأب انتاس الكرملي عن الكويت في مجلة المشرق — العدد العاشر ص ٤٥ .

كبيرة لمقاتلة السعوديين بالتحالف مع شيوخ بنى خالد وبالفعل وضع الشيخ عبد الله جميع إمكانيات الكويت البحرية في خدمة العمليات الحربية واستخدمت السفن الكويتية لنقل قسم كبير من قوات الشيخ ثويني إلى الإحساء ، وإن لم تكن النتيجة طيبة على أية حال إذ تفرقت هذه القوات وقتل ثويني في إحدى المعارك الطاحنة التي نشبت بينه وبين السعوديين^(١) وعقب ذلك نجح السعوديون في الاستيلاء على الإحساء وتأكيد نفوذهم في المقاطعات الشرقية للجزيرة العربية وترتب على ذلك أن أصبحت الكويت ملامسة للقوة السعودية التي أخذت تتأخها من الجنوب . وعلى الرغم من أن الكويت استغادت من سقوط أسرة بنى خالد في التخلص من الارتباط الذي كان قائماً بينها وبين هذه الأسرة في عهد الشيخ صباح الأول إلا أن شيوخ الكويت أخذوا يتعرضون لهجمات سعودية عنيفة^(٢) .

وفي تقديرنا أن وجود الوكالة البريطانية في الكويت في الفترة من ١٧٩٣ إلى ١٧٩٥ كان له أثر كبير في حماية الكويت من السقوط في قبضة السعوديين . وقد انتقلت الوكالة من البصرة إلى الكويت نتيجة الصعوبات والعقبات التي وضعتها السلطات العثمانية في وجه الوكالة البريطانية^(٣) .

ويمكن التركيز بصدق ذلك أن حادثة انتقال الوكالة إلى الكويت كانت تؤكد في حد ذاتها استقلال الكويت عن الدولة العثمانية . وكان القائم بأعمال الوكالة آنذاك هو المستر مانيسقى Manisty الذى رأى حماية للوكالة من الضغط السعودى أن يبقى طراداً صغيراً في ميناء الكويت ، كما وضمت فرقة حرس من الهنود يقودها ضابط هندى على المشاطىء . والجدير بالذكر أن الوثائق الرسمية البريطانية قد حرصت على أن ينفى نفياً قاطعاً قيام الوكالة البريطانية بأى دور في صد السعودية عن الكويت تمشياً مع السياسة البريطانية العامة التي كانت تقرر عدم التدخل في الصراعات الداخلية في الخليج العربى . وأن الوكالة كانت حريصة على أن تقف موقف الحياد في

(١) حسين بن غنام : روضة الأفكار والأفهام ج ٢ ص ١٦٥ وما بعدها .

(٢) ج. لولا يمارج : دليل الخليج ج ٣ ص ١٥٠٨ الدوحة ١٩٦٧ .

(٣) Kelly, Britain and the Persian gulf, London 1928.
Cf. Chapter I, the Persian Gulf in Late Eighteenth

الصراع بين السعوديين والكويت خوفاً على بريدها الصحراوي من أن يتعرض للانتقام السعوديين . . . وهذه الآراء وغيرها نجدتها في كتاب المستر Brydges عن الوهابيين والذي أكد فيه أكثر من مرة أن أهالي الكويت هم الذين دافعوا عن الإمارة وأن شيخها الوقور هو الذي نجح بمده وسماعته من أن يجنب إمارته الخضوع للسعوديين^(١) . ولسكننا مع ذلك نجد بعض المصادر الأخرى تؤكد على حدوث مساعدة انجليزية للكويت ضد السعوديين وتستند في ذلك على ما ذكره أحد الموظفين في الوكالة البريطانية ويدعى رينود Reynaud من أن المستر مانيسقي القائم بأعمال الوكالة البريطانية في الكويت أصدر أوامره خلال عمليات الغزو السعودي للكويت ١٧٩٥ بإنزال مدفيين من الطراد الإنجليزي وطلب من الجنود الهنود الاشتراك مع أهالي الكويت في صد السعوديين عن الإمارة ، وكان رد الفعل المتوقع مهاجمة السعوديين لبريد بريطانيا الصحراوي مما كان سبباً في رحلة رينود إلى الدرعية حينما كلف من مانيسقي بمقابلة الأمير السعودي في عاصمته . وقد اشتهر رينود بأنه كان أول أوروبي يزور عاصمة السعوديين الأولى .

وتتفق آراء بعض الباحثين على الأخذ بالرواية الثانية لأن الوكالة البريطانية كانت بطبيعة الحال تخشى على أموالها المودعة بالكويت فيما لو حدث غزو وهابي ، والتي كانت ستصبح غنيمة مشروعة في عرف الوهابيين باعتبارها من «أموال الكفر» وفضلاً عن ذلك فقد كان التزاماً أدبياً من الوكالة البريطانية أن تعبر عن اعترافها بحميل الشيخ عبد الله حينما أفسح لها مكاناً في بلاده .

وعلى الرغم من أن السعوديين استمروا في مواصلة عملياتهم الانتقامية ضد الكويت ابتداء من عام ١٧٩٥ إلا أن هذه المناوشات لم تؤد إلى نتيجة إيجابية أخضعوها لسلطتهم في الإحصاء إلى تحول طريق تجارة الهند إلى أوسط شبه الجزيرة واستطاعت الإمارة خلال السنوات التالية أن تحرز انتصارات اقتصادية هامة ضد السعوديين حينما أدت للمشاكل والحروب المستمرة بين السعوديين والقبائل التي

(١) Brydges, sir Harford Jones An Account of His Majesty's mission to the court of Persia 1809-1808, To which is appended a brief History of the Wahanby, Vol. 2, p. 12.

أخضعوها لسلطتهم في الأحساء إلى تحول طريق تجارة الهند إلى أواسط شبه الجزيرة العربية^(١) عن مجراه المعتاد مروراً بالإحساء إلى البصرة والسكوت ، إذ أصبح هذان المينائين يستخدمان بدلاً من موانئ القطيف والعقير مدخلاً لشبه الجزيرة العربية مما أثار السوريون وجعلهم ينظرون بقلق بالغ إلى منافسة السكوت لموانئ الأحساء بل ومطالبتهم بنصيب من الأموال ، وبالفعل أعدوا حملة كبيرة للاغارة على السكوت في عام ١٨٠٨ ولكن أهالي السكوت نجحوا في مقاومة الحصار الذي فرضه السعوديون عليهم وتمكنت الإمارة أن تبقى بمنأى عن النفوذ السعودي الذي بلغ درجة كبيرة من الانتعاش في تلك الفترة وإن استمر الخطر السعودي مع ذلك جاثماً عليها . وهذا يفسر لنا شدة ترحيب شيخ السكوت بالتقدم الذي أحرزته للقوات المصرية التي زحفت على نجد وأسقطت الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى في عام ١٨١٨ ، بل إن بعض المصادر تؤكد مساعدة الشيخ جابر حاكم السكوت لابراهيم باشا القائد المصري أثناء حصاره الدرعية . ولكن تقدم القوات المصرية بعد إخضاعها نجد صوب سواحل الأحساء أدى بالضرورة إلى قيام علاقات بين مصر والسكوت .

وتؤكد المصادر الرسمية التي تناولناها أنه في عام ١٨٣٨ حينما وصلت القوات المصرية بقيادة خورشيد باشا إلى سواحل الأحساء أرسلت وكيلاً عنها ليقم في السكوت على أنه وكيل لشراء الإمدادات اللازمة للقوات المصرية ، ولاشك أن خورشيد باشا كان في حاجة شديدة إلى الاستعانة بأسطول السكوت التجاري الذي كان — كما تردد في أكثر من مصدر — أسطولاً كبيراً ومجهزاً تجهيزاً طيباً ، وإن لم يثبت لنا مع ذلك استفادة القوات المصرية بالأسطول السكوتي بدرجة كبيرة باستثناء شحنة وحيدة من التبخيرة والمعاد وصلت إلى القوات المصرية خلال احتلالها للأحساء حملتها التي القطيف سفينة كويتية من ميناء الجديدة على ساحل البحر الأحمر^(٢) .

على أنه لم يثبت أن اتضح الهدف الحقيقي من إقامة الوكيل المصري بالسكوت

(١) كانت طرق القوافل وسيلة من الوسائل الهامة لنقل البضائع من الهند إلى أوروبا . حيث كانت تمر من الخليج إلى أواسط الجزيرة العربية ومنها إلى حلب وقد أمدنا رحالة القرن الثامن عشر بوصف تفصيلي لهذا الطريق الذي كان يعرف بالطريق الصحراوي العظيم . انظر : أبو حاكم : تاريخ السكوت الجزء الأول ص ٢٧٠ وما بعدها .

(٢) ج.ج. لوريتار : دليل الخليج ٠٠ المجلد الثالث ص ١٥١٥ الدوحة ١٩٦٧ .

وهو أن يسكون مبعوثاً سياسياً وجامعاً للأخبار المتعلقة بنجاح خطة خورشيد باشا قائد القوات المصرية في انتزاع العراق من الدولة العثمانية وذلك بإعداد حملة لغزو العراق من الجنوب . وكان شيخ الكويت يعامل المندوب المصرى معاملة ممتازة إذ كان يمنحه مقعد الشرف دائماً في كل مجالسه .

وتذكر الوثائق البريطانية أن الشيخ جابر حاكم الكويت الذى عاصر تقدم القوات المصرية كان صديقاً للحكومة البريطانية ، ولكن حدث خلال إقامة الوكيل المصرى أن عامل مسشولا بريطانياً وهو الليفتانت آدموندز معاملة تجافى اللياقة وذلك وجوده بالكويت للمفاوضة بشأن إنشاء خط بريدى عبر صحراء نجد ، بين الكويت إلى البحر المتوسط . وتضيف المصادر البريطانية أن حكومة الهند لم تجد مع ذلك ثمة ما يلزم لمعاينة الشيخ على تصرفه هذا ، مبررة أن الأمر لم يصدر عن نوايا سيئة ولكنه يهدف خداع الوكيل المصرى . وإن كنا لا نتفق مع هذا التبرير إذ أن شيخ الكويت لم يختلف عن بقية أمراء ورؤساء الخليج في شدة ترحيبه بالتقدم المصرى صوب سواحل الخليج تخلصاً من الضغط البريطانى من ناحية وتماطفاً مع القوات المصرية التى حققت انتصارات كبيرة في أواسط الجزيرة العربية ، والتي كانت تهدف في تقديرنا تحقيق الوحدة بين إمارات الخليج العربى (١) . وأغلب الظن أن الحكومة البريطانية لم تر ما يلزم لإيجاد أسباب لتوتر العلاقات بينها وبين الكويت خاصة عقب انسحاب القوات المصرية من الخليج وشبه الجزيرة العربية في عام ١٨٤٠/١٨٤١ ، ولذلك آثرت ألا تقوم بعمل من شأنه إحداث جفوة في العلاقات القائمة بينها وبين الكويت .

وعقب انسحاب القوات المصرية من نجد كانت الفرصة مواتية لى يقفز إلى الحكم السعودى عبد الله بن ثنيان الذى أطاح بالحاكم السعودى السابق خالد بن سعود مستغلاً كراهية الأسرة السعودية له لقبوله حكم بلاده تحت الحكم المصرى . وقد أعقبه فى الحكم فيصل بن تركى ١٨٤٢/١٨٦٦ وفى عهده حققت الإمارة السعودية الثانية

أقصى توسعها في منطقة الخليج العربي خاصة حينما أخضعت الإحساء واتخذت من المهفوف قاعدة للاغارة على بقية الإمارات العربية ، فأجبرت البحرين على دفع الجزية واستسلم حاكم قطر وقبل بدوره . ومنع الزكاة للسعوديين ، كما تمت القوة البحرية السعودية ووصلت إلى درجة كبيرة من التفوق إذ قدر أسطول السعوديين في ذلك الوقت بثلاثمائة سفينة حربية^(١) . ولكن مما يستلفت النظر أن موجة المد السعودي رغم اشتدادها لم تصل إلى إمارة الكويت إذ نجح حكامها إلى حد كبير في الاحتفاظ بعلاقتهم الودية مع السعوديين حتى أن هذه الإمارة لم تدفع الزكاة السنوية لهم على الرغم من شدة سطوتهم . والواقع أننا لا نجد تعليلاً مقبولاً لذلك . ومما يزيد الموقف غموضاً أن الكويت كانت تشكل مغنا عليها للسعوديين خاصة وأنها لم تكن قد ارتبطت حتى ذلك الوقت بماهدة مع بريطانيا على غرار غيرها من إمارات الخليج الأخرى التي اضطرت السعوديون إلى تخفيف ضغوطهم عليها عقب التصريح الذي انتزعه الانجليز من الإمام فيصل بن تركي في عام ١٨٦٦ بعدم الاعتداء على الإمارات التي تربطها بريطانيا بمعاهدات خاصة ، بل وأكثر من ذلك كان شيوخ الكويت يتصلون بانتظام على نصيبهم من تجارة القوافل المارة بين الكويت ونجد كما كانت مواسم الحج تحدث انتعاشاً كبيراً في الإمارة .

وعلى الرغم مما تذهب إليه بعض المصادر من أن حكام الكويت استمروا منذ انسحاب القوات المصرية من الجزيرة العربية حتى عهد مبارك بن الصباح سنة ١٨٩٦ لا يبدون أي اهتمام بالأوضاع القائمة في نجد طالما كانوا يتصلون بانتظام على نصيبهم من التجارة العابرة إلا أننا نخالف هذا الرأي ونؤكده على اهتمام حكام الكويت بما كان يجري من أحداث في نجد خاصة خلال فترة الصراع الأسرى التي أعقبت وفاة الإمام فيصل بن تركي في عام ١٨٦٦ . إذ توقفت خلال هذه الفترة العلاقة بين حاكم الكويت وبين عبد الله بن فيصل الذي كان أخوه الأصغر سعود ينافسه في الحكم وتمكن بالفعل من انتزاع الإمارة لنفسه . ومن ذلك يمكن أن نذهب في الرأي أن اتجاه شيخ الكويت لتقديم المساعدة لقوات مدحت باشا عند احتلالها

(١) راجع في ذلك تقرير الكولونيل بلي إلى الرياض في عام ١٨٦٦ . نقل عن :
Aitchison, a Collection of Treaties, Engagements and Sands relating
to India & Neighbouring Countries, Vol. XI, Persian Gulf, p. 44.

للإحساء لم يكن مجرد طاعة للدولة العثمانية ، وإنما كان ذلك يتفق مع مصلحة الكويت وأمنها في معاونة شيخ الكويت حليفه الأمير عبد الله ضد أخيه سعود خاصة وأن مدحت باشا خلال المراحل الأولى من حملته على الإحساء كان حريصاً على إعلان الأمير عبد الله بالولاية على نجد^(١) ، ومن ناحية أخرى قدر شيخ الكويت أن مساعدته للحملة العثمانية ستؤدي إلى تخلص الكويت من سيطرة الأمير سعود على السواحل المتاخمة لإمارته من الجنوب ، وما يؤكد ذلك أن الكويت أصبحت بالفعل هدفاً لإغارة الأمير سعود في عام ١٨٧٢ هدد الأمير سعود مدينة الكويت ولكن الشيخ استطاع رد الهجوم بعد أن استدراج أنصاره بعيداً أو تمكن من أن يرغمه على الفرار . وحوالي عام ١٨٨٤ وكان واضحاً أن شيخ الكويت يناصر أمراء ثمر من آل الرشيد الذين بدس مراءهم ضد السعوديين^(٢) .

وفي خلال الحكم العثماني للإحساء ١٨٧١ - ١٩١٣ تمت إمارة الكويت وانطلقت في التوسع جنوباً على حساب الحكم العثماني الذي تميز بالضعف العام^(٣) ، وفي عهد الشيخ مبارك بن الصباح الذي ولي الحكم في الفترة من ١٨٩٦ إلى ١٩١٥ استطاعت إمارة الكويت أن تنتهز فرصة الأوضاع المضطربة في نجد لتحقيق نجاح ملحوظ من التوسع على حساب الصراع الذي كان قائماً في هذه الفترة بين آل رشيد وآل سعود . وتفصيل ذلك أن الشيخ مبارك عمل على احتضان القضية السعودية في مراحلها الأولى^(٤) ، وكان يهدف من ذلك الاستعانة بالأسرة السعودية في توسيع

(١) انظر إعلان من مدحت باشا موجه إلى أهالي نجد في ٢٠ لابريل ١٨٧١ .

Cf. Essau to Pelly 197/7/1871.

Enclosure from Assistant Resident at Bahrei to the Resident in the Persian Gulf.

India Office Political & Secret Department, Letters from the Persian Gulf.

(٢) ج.ج. لوريغار : دليل الخليج ج ٣ ص ١٥٢٣ .

(٣) عرضت لنا الرحالة آن بلغت في رحلتها إلى نجد التي قامت بها في عام ١٨٨٠ صورة

للحكم الراهن الذي يميز به الحكم العثماني في ساحل نجد .

Cf. Blunt, Lady Anne, A Pilgrimage to Nejd, Vol. II, 265-268, London, 1881.

(٤) حافظ وهبه : شبه جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٢٥٨ القاهرة ١٩٥٦ .

إمارته على حساب الدولة العثمانية وآل رشيد في نجد ولكن ما كاد الأمير عبد العزيز ينجح في استرداد الرياض ١٩٠١ حتى أدرك جيداً أطماع مبارك مما كان له أثر كبير في توتر العلاقات بينهما . وقد وصل هذا التوتر إلى درجة كبيرة هددت بانفجار المواقف بين السعودية والكويت في الأيام الأخيرة من حكم الشيخ مبارك .

ويعكس تنبع العلاقات بين الكويت ونجد منذ سقوط الأسرة السعودية عقب معركة الميلاء سنة ١٨٩١ والتي بدأ في أعقابها أن الحسم في نجد قد استقر لآل رشيد ولذلك عندما تولى الشيخ مبارك حكم الكويت في عام ١٨٩٦ رأى أن يستعين بمن تبقى من أفراد الأسرة السعودية لتحقيق توسعته في نجد على حساب آل رشيد وعلى هذا النحو نصل إلى مرحلة هامة من المراحل التي مرت بها العلاقات بين الكويت ونجد وهي المرحلة التي تميزت بمحاولة الكويت التوسع في أواسط الجزيرة العربية ولكنها ووجهت بآل رشيد ومن ورائهم الدولة العثمانية . وقد أدت الأوضاع القلقة بين الكويت وآل رشيد في نجد إلى ملحة من أقوى الملاحم العسكرية التي وقعت بين القوى المحلية في نجد والخليج العربي وهو معركة العريف في عام ١٩٠١ (١) .

ويتفق الرواة على أن أسباب هذه المعركة ترجع إلى اتجاه الشيخ مبارك إلى تحقيق رغبته في التوسع في نجد في الوقت الذي بدأت فيه الكويت تعاني من ضائقة التدهور الاقتصادي الذي طرأ عليها نتيجة إغارات قبائل ثمر المستمرة وتهديدهم طرق القوافل التجارية فضلا عن قطع طريق الحج إلى مكة . ووضع أن السبب في تدهور العلاقات بين الكويت ونجد حقد آل رشيد على الشيخ مبارك احتضانه من تبقى من زعماء الأسرة السعودية فضلا عن التعريصات التي كان يلقاها آل رشيد من الدولة العثمانية التي ظهر بالتالي حقدها على الشيخ مبارك لارتباطه بماهدة مع الإنجليز سنة ١٨٩٩ وعدم إعلان ولائه صراحة لها . وقد وجد الشيخ مبارك مؤيدين له من بعض القوى المحلية في الخليج كالشيخ سعدون شيخ المنتفق ، نظراً للعداوة التقليدية بينه وبين قبائل ثمر ، كما لقي الشيخ مبارك تأييداً من أمراء بريدة

وعنيزة في القصيم آل سليم وآل مهنا، إلى جانب قبائل مطير والمعجمان القاطنية في الإحساء هذا بالإضافة إلى المساعدات البحرية التي أسداها إليه صديقه الشيخ خزعل خان شيخ المحمرة . ولذلك تمكن مبارك أن يحرز انتصارات ملحوظة في التحركات الأولى من ذلك سقوط مقاطعة العارض التي أسند إدارتها للأمير عبد العزيز ابن سعود الذي كان يرافقه في حملته ، كما نجحت القوات الكويتية وخلفائها من القوات الأخرى إسقاط العضم ، ولكن عند بئر صغير على مقربة منها نشبت معركة بين الفريقين انتهت بهزيمة الكويت هزيمة أليمة وأصبح الطريق أمام آل رشيد مفتوحاً لإسقاط الكويت خاصة بعد أن أشيع مقتل الشيخ مبارك في المعركة . ولم ينقذ الكويت من المصير الذي كان من المؤكد أن تنساق فيه إلا مراوغة مبارك السياسية الذي سارع بالذهاب إلى انفاو ليرق إلى الدولة العثمانية بولائه لها ، وأجابته الدولة العثمانية على شعوره الموالي بإصدارها فرمان أكدت فيه اعتباره قائماً رسمياً على قضاء الكويت^(١) . ولم يكتف الشيخ مبارك بذلك بل إنه اضطر إزاء ضغط عبد العزيز آل رشيد وحصاره لإمارته أن يطلب المساعدة من البحرية البريطانية التي كانت ترقب تطور الأوضاع على مقربة من ميناء الكويت^(٢) وعلى الفور هرعت ثلاثة بوارج بريطانية إلى الميناء لنجدة سكان الكويت مما اضطر قوات آل رشيد على أن ترحلها إلى التراجع عن غزو الكويت^(٣) .

وعلى الرغم من نجاح الأمير عبد العزيز بن سعود في العام التالي من معركة الصريف من استرداد الرياض فإن خطر آل رشيد ظل ماثلاً أمام الكويت وهذا

(١) وضع أن الشيخ مبارك قد ارتبط في عام ١٩١٠ بولاء مزدوج للدولة العثمانية وبريطانيا وقد اتفقت الدولتان في ذلك الوقت على المحافظة على الوضع الراهن في الكويت راجع في ذلك :

Télégramme de sublime porté au représentant ottoman à Londres 919/1901 cf. Gooch and Temperly, British Documents on the Origins of the War, vol. X, Part II, p. 49, see also Memorandum respecting Koweit, p. 7 ff., F.O. 78-5174.

Rouire, La question du Golfe Persique, Le règlement de Mascate et de Koweit, pp. 370-371. (٢)

Cf. Memorandum Respecting Koweit, pp. 14-16, Foreign Office 78-5174. (٣)

يفسر لنا حرص الشيخ مبارك على تقديم مساعدات فعالة للأمير عبد العزيز بن سعود ومعاونته في توطيد دعائم حكمه وتزويده بالخطط العسكرية التي تعينه في التخلص من غريمه ابن الرشيد . وقد استمرت المساعدات الكويتية تصل إلى الأمير عبد العزيز في نجد ، سواء كانت مساعدات كويتية خالصة أو مساعدات بريطانية كانت تصل إلى عبد العزيز عن طريق الكويت ، حتى مقتل الأمير عبد العزيز بن الرشيد في روضة المهنا في عام ١٩٠٦ .

ويتضح لدينا من مراقبة تطور الأوضاع بين الكويت ونجد أن المساعدات التي كانت تقدمها الكويت لآل سعود كانت تهدف بها أساساً استغلال التنافس بين آل سعود وآل رشيد لتحقيق قدر من التوسع الإقليمي في أواسط نجد على حساب الطرفين المتصارعين . وفي عام ١٩٠٤ دخل العثمانيون كمنصر هام في هذا الصراع وذلك بمساندتهم لحلفائهم من آل رشيد^(١) . ويستدل من الروايات المختلفة المتعلقة بتاريخ نجد إرسال الدولة العثمانية قوة عسكرية قامت من البصرة متجهة إلى أواسط نجد بهدف معاونة آل رشيد بيد أن هذه القوة لم تلبث أن ووجهت بهزيمة شنيعة على يد ابن سعود وحلفائه في التصميم ، فأعد العثمانيون حملة أخرى في العام التالي ١٩٠٥ وهنا وجد شيخ الكويت أن الفرصة سانحة ليمرض وساطته بين الأطراف المتنازعة وبالفعل عقد اجتماع هام في صفوان أعقبه اجتماع آخر قرب آبار الكاشانية في المنطقة بين الكويت والبصرة في عام ١٩٠٥ حيث اجتمع عبد الرحمن بن سعود بمخلى باشا والي البصرة وبحضور الشيخ مبارك أمير الكويت . وفي هذين الاجتماعين بحثت عدة اقتراحات من قبل والي البصرة كانت تهدف إلى إبقاء القسم من منظمة عازلة بين آل سعود وآل رشيد على أن يكون فيها للدولة العثمانية حامية عسكرية في كل بريدة وعنيزة حتى يتم إقرار الصلح النهائي بين حائل والرياض .

(١) كانت الحكومة البريطانية تراقب تدخل الدولة العثمانية في الصراع بين آل رشيد وآل سعود وقد بادرت بتعيين أول وكيل سياسي لها في الكويت وهو الكاتب نويس لمراقبة الأوضاع في أواسط الجزيرة العربية وإن كانت ترحس على ألا يستمر وجود هذا الوكيل انتباه السلطات العثمانية .

وعلى الرغم من موافقة الأطراف المعنية على هذه الاقتراحات إلا أنها لم توضع قط موضع التنفيذ ويرجع ذلك إلى اضطرار الدولة العثمانية بسبب حامياتها العسكرية من أواسط نجد لمواجهة متطلبات الموقف العسكري في اليمن الناجم عن الثورة التي قامت في عام ١٩٠٤ . وهكذا أصبح الموقف قائماً دون حل تقريباً وإن كان قد ظهر من خلال ذلك شدة استياء الأمير عبد العزيز بن سعود من شيخ الكويت الذي لم يساعده في موقفه . والثابت لدينا أنه على الرغم من أن شيخ الكويت قد عرض الوساطة على كل من الدولة العثمانية وآل سعود وآل رشيد إلا أنه رفض القيام بدور إيجابي لصالح حليفه ابن السعود ، وقد أحدث ذلك استياء من قبل الأمير عبد العزيز عبر عنه بإرسال ممثلين من قبله بحجة القوافل النجدية التي تكنتل من الكويت بهدف استيفاء الرسوم المقررة على التجارة قبل مغادرتها الكويت ، وانسيابها في صحراء نجد . وقد قام بهذا التصرف دون أن يشاور شيخ الكويت بشأنه مما كان سبباً لاستياء الشيخ مبارك الذي عد هذا التصرف نكراً لجليه واعتداءً على سلطته . ورداً على ذلك أخذ مبارك يبدى تقارباً ملحوظاً مع الأمير عبد العزيز الرشيد بل وطلب منه في إحدى الرسائل التي كان يبعث بها إليه أن يرسل من قبله مبعوثاً لكي يتفاوض معه في عقد مهادنة من شأنها التضييق على الأمير عبد العزيز ابن سعود والوقوف ضد خططه التوسعية في نجد . وبالفعل أمكن في عام ١٩٠٥ الوصول إلى اتفاقية سرية بين الطرفين نصت على أن يلتزم الشيخ مبارك بجانب الحياد التام في حالة نشوب الحرب بين آل رشيد وآل سعود ، ووضح أن الشيخ مبارك كان يرمى من وراء تشجيعه آل رشيد بتحقيق أهداف ثلاثة :

أولها — تقليل نفوذ ابن سعود في نجد الذي أصبح يشكل خطراً على الكويت .

وثانيهما — إحباط مساعي خصمه العنيد يوسف الإبراهيم الذي كان يقلقه وينازعه في الحكم وذلك بتأييده لقضية أبناء أخوة الشيخ مبارك . والذي كانت تربطه روابط صداقة بآل رشيد .

وثالثهما — استعواذه على رضا الدولة العثمانية حينما تعلم بمصافاته لحليفها ابن الرشيد^(١) .

(١) حسين خلف الشيخ خزعل : تاريخ الكويت السياسي ، ج ٣ : ص ١٨٦

وعلى أثر توقيع تلك الاتفاقية التي بدأ منها انحيازاً واضحاً من قبل الكويت لآل رشيد ، أخذت الكويت تقدم مساعدة فعالة لآل رشيد من ذلك تشجيع الشيخ مبارك للبدو ، الذي كان يملك عليهم تأثيراً خاصاً ، في الاعتداء على القبائل التابعة لابن سعود وبثه الدعاية بين أعراب نجد مشجعاً أيّامهم على التمرد على سلطة عبد العزيز بن سعود .

ولكن قوة عبد العزيز بن سعود الصاعدة في أواسط نجد مكنته من التصدي لآل رشيد وإحاقه الهزيمة بهم في العام التالي ١٩٠٦ وقتل الأمير عبد العزيز ابن الرشيد في روضة الهنا (١) . وأصبح الموقف يحتم على الكويت أن تساند بكل قوتها قضية آل رشيد أكثر من أي وقت مضى خاصة بعد أن تداعت قوتهم في نجد ومات حليفهم يوسف الإبراهيمي الذي عرف بعدائه الشديد لمبارك .

وغداة وصول متعب بن الرشيد إلى الحكم أرسل إليه مبارك يهنئه بالإمارة ، ويعزيه في وفاة والده ويقرر أن حائل والكويت شقيقتان ومصالحة البلدين واحدة ويطلب منه التعاون معه في تخليص نجد من سلطة السعوديين التي تخشاهما الكويت بقدر ما تخشاهما حائل . بيد أن هناك إجماع بين المصادر التي تناولناها أن الشيخ مبارك كتب إلى عبد العزيز بن سعود في نفس الوقت يؤكد له أنه مستعد لتقديم المساعدة له للقضاء على حكم آل رشيد ويهنئه بالانتصار عليهم في روضة الهنا . وتضيف هذه المصادر أنه حدث خطأ في تبادل هذه المراسلات مما كان سبباً لإحراج مركز مبارك .

ومع ذلك فقد بدأ في عام ١٩٠٦ محاولة الشيخ مبارك أن يجعل من نفسه محكما في النزاع بين آل سعود وآل رشيد وذلك بإعداده مشروعاً خيالياً لتقسيم وسط الجزيرة العربية بحيث يصبح جبل شمر وما حوله ملكاً لآل رشيد ومعظم أجزاء نجد الجنوبية لآل سعود بينما يستولى لنفسه على القصيم وممتلكات السعوديين

في كل من وشم والسدير والدواسر . وظهر أن إمارة الكويت — بذكاء شيخها ودهائه الذى وصفه البعض بأنه يقرب من دهاء ريشيلية — أصبحت بالفعل القوة المسيطرة على الموقف في المقاطعات المتأخمة لها في أواسط الجزيرة العربية ، وأخذت قوافل الحج تنساب من الكويت إلى مكة بسلام بعد أن كانت قد انقطعت منذ عدة سنوات نتيجة طبيعية للحروب المتواصلة في نجد . وقد قدر الخارجين للحج في عام ١٩٠٦ بأكثر من ألف نسمة^(١) .

على أن مشروع التقسيم الذى كان يدور في مخيلة مبارك لم يلبث أن قضى عاياه الأمير عبد العزيز بن سعود قضاءً مبرماً حينما سارع بوضع الشيخ أمام أمر واقع وذلك باستيلائه على التقسيم وإعلانها مقاطعة تابعة له . وكان سقوط التقسيم يعنى خضوع أواسط نجد للسلطة السعودية كما كان يعنى في نفس الوقت أن الطريق قد أصبح مفتوحاً لتوسعات سعودية في شرق الجزيرة العربية وأصبحت ضرورات الموقف تحتم على الشيخ مبارك أن يعود مرة أخرى إلى أساليب المراوغة التي اشتهر بها وذلك بإظهار صداقته للأمير عبد العزيز الذى بدأ نجمه يبرغ إلى مجال القوة والسيادة في أواسط الجزيرة العربية . وبالفعل أبدى الشيخ مبارك في ذلك الوقت تقارباً ملحوظاً مع الأمير عبد العزيز حينما حاول أن يظهر بطريقة عملية أنه لا يزال عوناً له في تخليصه من مشاكلكه ، وقد بذل في هذا الموقف بالذات جهوداً ملحوظة في الوساطة في النزاع الذى نشب بين الأمير عبد العزيز وبين أقاربه من العرائف حينما قام هؤلاء بثورة أسرية تزعمها بعض المطالبين بالحكم للفرع الأكبر من أحفاد عمه سعود في مقاطعتي الحرج والحريق ١٩١٠/١٩١١^(٢) .

وفي عام ١٩١٣ كان مركز عبد العزيز قد أصبح قوياً بدرجة تمكنه من فتح الإحساء فاتهنز في ذلك فرصة انشغال الدولة العثمانية في حروبها في البلقان واضطرت الدولة العثمانية إلى التفاوض معه . ولكن الشيخ مبارك كان قلقاً

(١) لوريغار : دليل الخليج ج ٣ ص ١٥٦٣ — الدوحة ١٩٦٧ .

(٢) جمال زكريا قاسم : الخليج العربي ، دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ إلى

١٩١٤ ص ٣٠٩ — القاهرة ١٩٦٧ .

لاستيلاء عبد العزيز على الإحساء معتقداً أن أطباع الأمير لن تتوقف عند حد وقد أبدى استياءه. وشدة لومه للدولة العثمانية التي تخلت عن الإحساء دون مقاومة^(١)، وعدم إطلاعة على نتيجة البحوث التي دارت بينها وبين بريطانيا في لندن والتي تناولت الكويت وغيرها العربي من إمارات الخليج العربي^(٢).

ومرة أخرى يحاول الشيخ مبارك أن يظهر بمظهر الوسيط الذي يمكن أن يسوى عن طريقه النزاع بين عبد العزيز والدولة العثمانية بشأن الإحساء، ولا شك أنه تشبث في القيام بذلك الدور حتى يضمن تسوية الأمور بالشكل الذي يروقه. بيد أنه — الأمير عبد العزيز — لم يخف عليه ما كان يقصده الشيخ مبارك من إصراره على أن يكون اجتماع التوفيق في الكويت، وهو ألا يكون للأمير عبد العزيز الرأي البات سيما إذ أجمع مع مبارك في مجلس واحد ولذلك رفض عبد العزيز الحضور إلى الكويت مفضلاً أن يعقد الاجتماع في الصبحة وهي قرية تقع بين الكويت والإحساء^(٣).

وكان يرأس الوفد العثماني السيد طالب بك نقيب الأشراف في البصرة وقد وصل الوفد أولاً إلى الكويت حيث أمضى وقتاً في ضيافة مبارك ثم انتقل إلى الصبيحة وقد أوفد مبارك ابنه جابر لمقابلة الوفد السعودي بيد أن الشيخ مبارك لم ينجح هذه المرة في سياسته ذات الوجهين التي حاول اتباعها بالنسبة للدولة العثمانية والأمير عبد العزيز إذ فطن الفريقان إلى حقيقة ما يرمى إليه مبارك الذي أرسل كتاباً إلى الأمير عبد العزيز برفقة ابنه جابر يؤكد له ضعف الدولة العثمانية ويحذره من الانصياع لمطالب الوفد العثماني في الوقت الذي كان يؤكد فيه للوفد العثماني

(١) صلاح المقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي — ص ٢٥٠ — القاهرة

سنة ١٩٦٦.

Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, vol. I, p. 269 ff., Gooch and Temperby.

وكذلك:

British Documents on the Origins of the War (1871-1914), vol. X, Part II, pp. 177 ff.

(٣) حسين خلف الشيخ خزعل: تاريخ الكويت السياسي ج ٣: ص ٢٣ —

بيروت ١٩٦٢.

ضمت عبد العزيز ، وعدم مقدرته على مواجهة الدولة العثمانية فضلا عن التهوين من شأنه .

ولذلك أصبح واضحاً من التسوية التي تمت بين عبد العزيز والدولة العثمانية أن الكويت خسرت معركة الصبيحية السياسية بعد أن أصبح النفوذ السعودي حقيقة معترف بها رسمياً في الإحساء . ذلك أن اتفاقية الصبيحية عام ١٩١٤ نصت على إلحاق منطقة الحسا بإمارة نجد واعتبار الاثنتان ولاية واحدة من ولايات الدولة العثمانية على أن يكون الأمير عبد العزيز والياً وقائداً عاماً واسع الصلاحيات مع احتفاظه بحق إنشاء قوات عسكرية بهدف حفظ الأمن داخل الولاية . وفي هذه المناسبة أغدقت الدولة العثمانية على الأمير لقب باشا ، وقدم ناظر الحربية أنور باشا وساماً إلى الأمير عبد العزيز مشفوعاً بهنئة رقيقة على إخلاصه للدولة^(١) .

وتذكر المصادر السعودية أن الأمير عبد العزيز لم يقدم على التفاهم مع الدولة العثمانية إلا تقديراً للمشاحنات ولقطع على الإنجليز أية محاولة للسيطرة على الإحساء لأن الدولة العثمانية خلال مباحثاتها مع الإنجليز في ذلك الوقت كان لا يمكن أن تتنازل عن الإحساء^(٢) . أما الدوائر العثمانية فقد رحبت بعقد تسوية مع الأمير عبد العزيز لأن من شأن هذه التسوية تجنب الأمير الارتباط بأية معاهدة مع الإنجليز ، وإن كانت ظروف الحرب العالمية الأولى التي اندلعت في ذلك الوقت مكنت للأمير عبد العزيز تجاهل ارتباطه بالدولة العثمانية وينحاز إلى جانب الإنجليز .

وعلى الرغم من أن الشيخ مبارك قد اضطر إلى أن يبعث إلى الأمير عبد العزيز بهنئة بتوصله إلى اتفاق مع الدولة العثمانية إلا أنه في نفس الوقت كان يتحين الفرصة للإيقاع بالنفوذ السعودي الذي عدّه يشكل خطراً على إمارته . وأخذ الشيخ ينحاز أكثر من أي وقت مضى إلى آل رشيد وظهر ذلك واضحاً خلال المعركة التي

(١) جمال زكريا قاسم : الخليج العربي : دراسة لتاريخ الإمارات العربية من ٣١١ الهجرية ١٩٦٧ .

(٢) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وأحاضرها ج ٢ ص ١٥٨/١٥٩ - بيروت ١٩٥٧ .

نشبت بين الأميرين وعرفت باسم موقعة أجراب ١٩١٥ . ولكن نتيجة المعركة أقرب ما تكون إلى التعادل بين الطرفين المتصارعين . وكان من سوء حظ مبارك أن انكشفت سياسته ذات الوجهين التي كان يتبعها حينما وقعت في أيدي آل رشيد حافظة أوراق ابن سعود والتي يحتمل كثيراً أن يكون قد تمعد وقوعها في أيدي أعدائه ، وكان بها رسالة من الشيخ مبارك يحرضه فيها على آل رشيد وفي نفس الوقت الذي كان يمرض فيه آل رشيد على ابن سعود^(١) وكان من نتيجة ذلك أن أرسل الأمير متعب بن الرشيد قلة من جنوده أغارت على أطراف الكويت . كما توترت العلاقات أيضاً في أعقاب معركة أجراب بين الكويت وابن سعود وظهر ذلك واضحاً حينما انتهزت قبيلة العجمان فرصة ضعف عبد العزيز وحاولت استرجاع ما كان لها من نفوذ على الإحساء ذلك النفوذ الذي كانت تتمتع به خلال الحكم العثماني الواهن .

وقد خشى عبد العزيز من مواجهة ثورة العجمان خوفاً من التجأهم إلى الكويت وبذلك يتيح الفرصة لمبارك أن يستعين بهم عليه ولذلك لم يتقدم لقمع ثورة العجمان إلا بعد أن انتزع وعوداً مؤكدة من الشيخ مبارك بالألا يمنهم حق اللجوء أو الاحتماء به في حالة وصولهم إلى إمارته .

وكان من حسن حظ الأمير عند العزيز تأييد الحكومة البريطانية له في سياسته التي كانت تهدف إلى تقويته على خصومه من آل رشيد لكي تخفف من حالات الضغط التي كان يقوم بها القبائل الموالية للشريف حسين وحق تشغله عن هذا الاتجاه طلبت من الشيخ مبارك أن يمد الأمير عبد العزيز بقوة تساعد على قهر قبائل العجمان كما يتفرغ لآل رشيد^(٢) ، واضطر الشيخ مبارك أن يقدم بالفعل مساعدته لعبد العزيز لقمع ثورة العجمان ويبدو أنه فعل ذلك بعد أن قدمت له الحكومة البريطانية وعوداً خاصة بحماية إمارته من أي ضغط يقع عليها من قبل المقاطعات الخاضعة لعبد العزيز في الإحساء . وإن كان الشيخ مبارك — فيما هو ثابت

(١) عبد العزيز الرشيد : تاريخ الكويت ج ٢ ص ١٨٢ — بغداد ١٣٦ .

لدينا — لم يكن مخلصاً في تقديم المساعدة ويمكن أن نستدل على ذلك من التلميحات التي زود بها قائد جيشه الشيخ سالم بعدم معاونة عبد العزيز ضد العجمان في حالة انتصارهم عليه إذا غلبهم ابن سعود فنحن معه وإذا هم غلبوه فلا تساعدهم في حالة انتصارهم عليه « إذا غلبهم ابن سعود فنحن معهم وإذا هم غلبوه فلا تساعدهم عليه » .

وحينما انتصر عبد العزيز على العجمان أفسح لهم مبارك مكاناً في بلاده فوردها قسم كبير منهم وأخذوا يبيعون ما نهبوه من الإحساء في أسواق الكويت (١) ، مما جعل عبد العزيز يتذرع بمطاردته العجمان لعزير الكويت . ولم ينفذ الإمارة من الهجوم السعودي ألا تدخل الحكومة البريطانية وموت الشيخ مبارك في أواخر ذلك العام ١٩١٥ (٢) .

ووضع التدخل البريطاني لحماية الكويت وغيرها من إمارات الخليج من التوسع السعودي بمقد بريطانيا اتفاقية دارين ١٩١٥ مع الأمير عبد العزيز آل سعود وقد اعترفت في هذه المعاهدة بتسمية نجد والإحساء والقطيف والجبيلي وملحقاتها والموانئ التابعة لها على ساحل الخليج للأمير عبد العزيز وباعتباره حاكماً مستقلاً على هذه الأراضي ورئيساً مطلقاً على جميع القبائل الموجودة بها وتعترف لأبنائه وأعقبه من بعده بذلك بشرط ألا يكون أى منهم ضد المواد التي نصت عليها الاتفاقية وقد تعهد ابن سعود من جانبه بالألا يتداخا في أراضي الكويت والبحرين وإمارات الساحل العمانى التي تربطها ببريطانيا معاهدات خاصة . والجدير بالذكر أن عبد العزيز استمر ملتزماً بشروط هذه الاتفاقية ومحافظاً على العلاقات السلمية خلال سنى الحرب العالمية الأولى . ولكن لم يلبث أن حدث خرق صريح من جانبه لهذه الشروط في أعقاب الحرب العالمية الأولى إذ انتهز فرصة امتناع الحكومة البريطانية عن دفع الإعانة السنوية التي كانت تدفعها له توفيراً لنفقاتها مما كان سبباً

(١) حافظ وهبة : شبه جزيرة العرب في القرن العشرين ص ١٥٨ — القاهرة سنة ١٩٥٦ .

(٢) حلل عبد العزيز الرشيد في كتابه تاريخ الكويت أسباب العداء بين ابن سعود والشيخ مبارك ج ٢ ص ١٨٠ — طبعة بيروت .

في استئناف نشاطه على سواحل الخليج متعللاً بحاجته إلى المال . وكانت لا بد من اصطدامه بالكويت وبغيرها من إمارات الخليج . ذلك أن الأمير عبد العزيز على الرغم من سلطته أصبحت مؤكدة على الإحساء وبدأ يتخذ من موانئها منفذاً طبيعياً لإمارته إلا أنه لم يلبث أن اتضح لديه أن إمارة الكويت تنافس موانئ الإحساء منافسة اقتصادية بعيدة المدى كما تأكد لديه أيضاً أن جميع القبائل النجدية تؤثر في معاملاتها التجارية الكويت على الموانئ الأخرى التي خصصت للإدارة السعودية في سواحل الإحساء . وقد ر عبد العزيز مدى الخسارة المادية التي تلحق به لعدم تمكنه من الاستفادة عوانئ الجبيل والقطيف وغيرها ولذلك بذل عدة محاولات لإجبار البدو النابمين له على الاكتفاء من موانئ الإحساء بيد أنه لم يجد ترحيباً منهم في ذلك . ولم يلبث أن أدرك أن نتيجة هذا التضييق الشديد هو تعرضه لأزمة اقتصادية لا تقل عن الأزمة التي يمكن أن تتعرض لها الكويت ولذلك أبدى استعداده أن تستمر الكويت في التعامل مع نجد بشرط استيفاء الرسوم الجركية على الأموال التي تخرج منها إلى نجد لحسابه الخاص ولكن حكاهم الكويت رفضوا أن يكونوا مخلصين أو جباة ضرائب لعبد العزيز (١).

ومما ساعد على استمرار التوتر في العلاقات بين نجد والكويت هجرات العجمان المتوالية إلى الكويت ولجؤهم إلى حكاهما ناشدين الأمن من تعقب قوات عبد الله ابن جلوى لهم . ولم يلبث أن انفجر الموقف بين نجد والكويت حينما برزت إلى الوجود مشكلة الحدود بين البلدين وظهر ذلك واضحاً خلال عهد الشيخ سالم بإمارة الكويت الذي بات في يقينه أن تحركات ابن سعود المستمرة على أطراف الكويت الجنوبية إنما يستهدف بها القضاء على الاتفاقية الانجليزية التركية الموقعة في يوليو سنة ١٩١٣ والتي أصرت الحكومة البريطانية رغم هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى أن تعتبره متعملاً التزاماتها باعتباره وريثاً في ولاية نجد وسواحلها . ولذلك أخذ الشيخ سالم يشدد أحكام الإدارة المباشرة بل والصارمة في كثير من الأحيان على إمارته تمادياً لحالة التهديد التي أخذت الكويت تتعرض

(١) راجع مشكلة المسألة بين نجد والكويت في مؤلف أمين الريحاني : ملوك العرب ،

أو رحلته في البلاد العربية ج ٢ ص ١٦٢ ١٦٤ — بيروت ١٩٢٩ .

لها من قبل القبائل التابعة لابن سعود، كما عمل سالم في نفس الوقت على تطبيق إدارته على القبائل القاطنة في الجنوب بين الأحساء والكويت .

وكان الشيخ سالم على درجة كبيرة من القلق خشية طموح عبد العزيز وتابعه في ذلك الوقت فيصل الدويش وخاصة بعد أن بلغته أنباء المعركة التي دارت بين عبد العزيز وقوات الشرافة في تره سنة ١٩١٩ ولتلك عزم على تثبيت الحدود بين الكويت والأحساء^(١) وكان يرى أن تنتهي حدود الكويت الجنوبية عند نقطة تبعد من قلب الإمارة بنحو مائة وخمسين ميلاً ومن هذه النقطة تأخذ خطاً مستقيماً نحو الشرق أي بمحاذاة ساحل الخليج العربي بحيث تنتهي عند دوحة البلبول وكانت هذه المنطقة تتميز بغزارة مياهها وصلاحيها لمرسى السفن وقربها من مناصب اللؤلؤ ولذلك كانت كثيراً ما تفتد إليها العشار الكويتية لرى ماشيتها . ورأى سالم تثبيتاً لحقوق الكويت تشييد قلعة ويتخذ من دوحة البلبول ميناءً صغيراً ينافس به ميناء الجبال، ولما بلغ الأمير عند العزيز ما يقوم به الشيخ سالم أمر تابعه ابن شقير بالإستيلاء على جربا المليا، وهي مكان يقع إلى الشمال الغربي من دوحة البلبول وبالفعل بدأت جماعات من الإخوان تصل إلى المنطقة وشرعوا في تأسيس بعض الحجر فيها ومعنى وصول السعوديون إلى جربا المليا وهو وضوح الرغبة للتعدى على المقاطعات الأساسية لإمارة الكويت . ولذلك كان لا مفر أمام سالم من الاستجداء بالانجليز وبالفعل قدم الانجليز العون إلى الكويت حينما وجهوا إنذاراً للأمير عبد العزيز عن طريق المأجور مور المعتمد السياسي في الكويت وقد جاء في ذلك الإنذار أن الحكومة البريطانية لا تعترف بامتلاكات الأمير عبد العزيز إلا في داخلية الحدود المقررة لولاية نجد في نطاق الاتفاق الانجليزى التركى السابق توقيعها بينها وبين الدولة العثمانية في يولية ١٩١٣ . وإن عليه الالتزام بهذا الاتفاق والجدير بالذكر

(١) لم يلق موضوع الحدود الشمالية الشرقية للجزيرة العربية اهتماماً من الدارسين بعكس ما لقيه الحدود الجنوبية الشرقية التي أفرد لها كلى Kelly دراسة خاصة بعنوان :

The Eastern Arabian Frontiers, London, 1965.

ولعل لإثارة المشكلة الخاصة بالبورى كانت دافعاً لمزيد من الدراسات وإعلان كل من الحكومة السعودية والحكومة البريطانية رأيها بشأن هذه المشكلة .

أنه على الرغم من أن الحكومة البريطانية كانت تبدي عدة اهتمامها على أن تظل الشروط الواردة في الاتفاق الانجليزي التركي نافذة من قبل الأمير عبد العزيز ، وكانت تحصر في مناسبات كثيرة على تذكيره بتلك الاتفاقية إلا أنها من ناحية أخرى كانت تعتمد تجاهلها بالنسبة لملاقمتها مع شيوخ الكويت متملة بأن هذه الاتفاقية قد ألغيت بمقتضى المادة السادسة من اتفاقية دارين الموقعة بين بريطانيا والأمير عبد العزيز في عام ١٩١٥ .

وليس لدينا من تحليل لهذه الملاحظة غير أن بريطانيا كانت تقصد من وراء ذلك وضع حد للتوسع السعودي في سواحل الخليج في نفس الوقت الذي لا يتيح فيه لإمارة الكويت التمسك بالحدود المقررة لها في تلك الاتفاقية وبذلك تعطى لنفسها الحرية السكافية في وضع ما تراه من تسويات على حساب إمارة على أخرى كما حدث بالفعل في تخريطها للحدود المشتركة بين الكويت ونجد والعراق وبهذه المناسبة قدمت الحكومة البريطانية تليفاً إلى الشيخ سالم في ٩ يولي ١٩٢٠ بإبطال اتفاقية ١٩١٣ ورد سالم على هذا التبليغ بإعلان استنكاره لإبطال مفعول الاتفاقية التي كانت تطالب بها إمارة الكويت .

وعلى أثر اشتداد غارات السعوديين على الكويت أبدى الأمير عبد العزيز في مقابلة تمت بينه وبين السير برسي كوكس اللندوب السامى في العراق (١) أن تساعد الحكومة البريطانية في ضم الكويت إلى مقاطعاته مشيراً إلى الاقتراح الذي سبق أن أدلى به فيلبي قبل ذلك بعدة سنوات . ولكن الحكومة البريطانية رفضت هذا الاقتراح كلية ولا يعرف السبب الحقيقي لذلك الرفض وإن كان البعض يعلله باحتمال وجود النفط بالكويت ورغبة الحكومة البريطانية أن تتمتع بالامتيازات التي تعهدت الكويت بها . وفضلا عن ذلك فإن السياسة العامة للحكومة البريطانية كانت تفضل وجود وحدات سياسية صغيرة لأن وجود هذه الوحدات أدعى إلى بقائها مسيطرة عليها لأطول فترة ممكنة .

ولم تلبث أن تصاعدت الأزمة الكويتية النجدية بقيام غارة واسعة النطاق قام

(١) راجع مقابلة الصير بن السير نرسى كوكس وعبد العزيز بن سعود في حسين خلف تاريخ الكويت السياسي — ج ٢٥٧٣ .

بها الأخوان على قرية الجهرة ومحاصرة الشيخ سالم في القصر الأحمر^(١) . وعرض فيصل الدويش شروط الصلح بدمانها أهالي الكويت بمروقهم عن الإسلام ومطالباً بضرورة هدم المستشفى الأمريكي وإحراج القنصل البريطاني من الكويت إلى جانب زحيل الشيعة من الكويت .

ورد سالم مستنكراً الشرط الأول ومبدياً استعداده لإزالة ما يمكن من فساد بينما رفض الشروط الأخرى . ولا شك أن سالمًا اعتمد في رفض شروط الدويش على موقف الحكومة البريطانية المؤيدة له ، ذلك أن الاتصالات الرسمية دارت بين المعتمد البريطاني في الكويت وبين المندوب السامي في بغداد والمقيم السياسي في الخليج وتمتد هذه الاتصالات حكومتى الهند ولندن التي اتفقتا على إرسال قوات بحرية وجوية بهدف حماية الكويت . وبالفعل أبلغ الدويش بأن الحكومة البريطانية باسطة حمايتها على الكويت وأن الذين يحاولون الهجوم عليها يعرضون أنفسهم لقذف الطائرات والسفن الحربية البريطانية^(٢) .

وليس هناك شك في أن غزو الدويش كانت بناء على وامر من عبد العزيز آل سعود ويفهم ذلك من رد الدويش على الإنذار البريطاني من أن التحركات التي يقوم بها إنما هي بتكليف ابن سعود . ومع ذلك فقد اضطر الدويش إلى الانسحاب إزاء الموقف العاصم الذي وقته الحكومة البريطانية لحماية الكويت^(٣) .

وحاول المعتمد السياسي البريطاني في الكويت ، منتهزاً فرصة الاضطرابات التي وقعت بين نجد والكويت تسويه الحدود فيما بينهما ، إلا أن الكويت أصرت

(١) سيف مرزوق الشعلان — من تاريخ الكويت ص ١٨٦ وكذلك عبد العزيز الرشيد تاريخ الكويت — الجزء الثاني ص ٢١٦ .

(٢) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ماضيها وحاضرها ج ٢ ص ٢٢٩ بيروت ١٩٥٧ .

(٣) راشد عبد الله الفرحان — مختصر تاريخ الكويت وعلاقته بالحكومة البريطانية والدول العربية -- ص ٩٢ . - القاهرة ١٩٦٠ .

على الاعتراف بمحدودها من جزيرة العمار جنوباً قرب انطاع وإلى جهرة واليبانة
واللصانة الى حكر الباطن وشمالاً إلى جبل سنام وسنام وسكون وأم القصر وأن يكون
كل من حاكم نجد والكويت مسئولاً مسئولية مباشرة عما يجرى في حدوده من
تعديت البدو القاطنين ، وأن يكون للعشائر البادية الحرية التامة في الانضمام الى
تبعية أى حاكم يرويه أقدر من غيره على حمايتهم وأن تكون هناك ضمانات كافية
لحرية التجارة ، وإذا حدث نزاع بين البدو فالفصل فيه من سلطة الحكامين إلا إذا
عجزا عن التوفيق فيرجع الأمر إلى وكلاء الحكومه البريطانية .

على أن وفاة الشيخ سالم ، والذي عرف بعدائه لعبد العزيز بن سعود ، أدى إلى
توقف ابن سعود عن معاداته للكويت ، ولكنه لم يلبث أن وجه إليها ضربة
اقتصادية بالغة الخطورة حينما عاد إلى تشديد عمليات الحصر الاقتصادي عن التعامل
مع الكويت وقصر التعاملات التجارية على جمارك جبيل والعقير وتعلل ابن سعود
بعدم استفادته من الضرائب التي ينبغي أن تفرض على رعاياه الذين يتعاملون مع
الكويت في الوقت الذي هو في أشد الحاجة إلى أموال يستعين بها في تثبيت مركزه
في الحكم . وفي عام ١٩٢٢ كانت الفرصة مناسبة كي تدخل بريطانيا لتضع تسوية
بين الكويت ونجد والعراق وقد تم ذلك بموجب مؤتمر العقير . ويهمننا من ذلك
المؤتمر التسوية التي توصلت إليها بريطانيا بالنسبة للكويت وقد شملت ما يأتي :

أولاً — تعيين الحدود الجنوبية لإمارة الكويت .

ثانياً — تعيين حدود الإقليم المحايد في الجنوب بين حدود الكويت الجنوبية
وحدود الأحساء الشمالية .

ثالثاً — الاتفاق على أن يمارس كل من حاكمي نجد والكويت حقوقاً
متساوية ، وفي حالة اكتشاف البترول يقتسم دخله مناصفة ويتم التقاضي بواسطة
مجالس عرفية مختلطة يقوم كل حاكم بتعيين عدد من أعضائها .

لم تظهر الحكومة ارتياحاً للقرارات التي فرضها مؤتمر العقير ، وأكد الشيخ
أحمد الجبار أن الكويت فقدت أكثر من ثلثي المقاطعات التي كانت تطالب بها ،

كما فقدت عدداً كبيراً من قبائلها^(١) ومع ذلك فقد اضطرت الكويت أن توقع على هذه المعاهدة التي لم تكن في حقيقتها إلا واحدة من التسويات التي فرضتها بريطانيا على العالم العربي في أعقاب الحرب العالمية الأولى^(٢). ومما يزيد من قوة اعتراض الكويت على الحدود التي التزمت بها بموجب قرارات مؤتمر العقير أن المعتمد السياسي البريطاني في الكويت هو الذي كان يمثل الكويت في هذه المحادثات^(٣)، وفيما يبدو أن الكويت اضطرت إلى التوقيع على هذه المعاهدة إزاء تجدد الغزوات السعودية على حدود الكويت. ولا شك أن توتر هذه العلاقات وشعور شيخ الكويت بالحاجة إلى تأييد بريطانيا قد أدى إلى أن تحتفظ الحكومة البريطانية بنفوذها في الكويت وأن تكتسب فيها امتيازات جديدة كما حدث في أكتوبر ١٩٢٥ حينما وافق شيخ الكويت على أنه يكون القضاء في شؤون الرعايا الانجليز وسائر الأجانب غير المسلمين وفقاً للنظام البريطاني وأن تختص به الفصالية البريطانية^(٤).

أما اتفاقية العقير فقد تضمنت في الجزء الخاص بنجد والكويت على تخطيط الحدود بينهما فصت على أن تتبدى حدود نجد والكويت من ملتقى وادي العوجا بالباطن على أن تكون الرقعى (وهي مورد ماء) تابعة لنجد ومن هذه النقطة تمتد على خط مستقيم إلى حيث تلتقى بخط ٣٩ من خطوط العرض وبمركز الدائرة الحمراء المشار إليها بالمادة الخامسة من الاتفاقية الإنجليزية التركية المؤرخة في يولي

(١) من أهم هذه القبائل قبيلة العوازم التي كانت تقيم بادية الكويت ثم اقتطعها الأمير عبد العزيز وفي الكويت جماعات متحضرة من هذه القبيلة.

أنظر — مجلة الكويت — المجلد الأول ص ١٥٧ محرم ١٣٤٧ هـ.

(٢) انظر دراستنا عن المؤتمرات السياسية للحرب العالمية الأولى على إمارات الخليج

العربي — مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية — العدد ١٥/١٩٦٩.

(٣) Philby, Saudi Arabia, p. 284, see also John Marlowe, The Persian Gulf in the 20th Century, p. 75 ff., London, 1965.

(٤) ألقى هذا الامتياز عام ١٩٦٠ انظر دليل الكويت — القسم الأول — الكويت

بين الماضي والحاضر ص ١٩٦١.

١٩١٣ . وكان متفقاً على أن هذه الدائرة الحمراء مركزها قلب مدينة الكويت ونصف قطرها أربعون ميلاً ، وهذا الخط يستمر إلى الجانب من نصف الدائرة حتى يصل إلى النقطة التي تنتهي عند الساحل جنوب رأس ، وهذا الحد الجنوبي يكون للكويت دون منازع .

أما بقعة الأرض المحددة شمالاً بهذا الخط والتي يحدها غرباً ضلع من الأرض يسمى الشق وشرقاً وجنوباً خط يمر غرباً بشرق من الشق إلى عين العبد ومنها إلى الساحل شمالاً إلى رأس المشعاب فهذه الأراضي تعتبر مشتركة بين حكومة نجد والكويت لهما فيها الحقوق للتساوية إلى أن يتفق اتفاقاً آخر بين نجد والكويت بخصوصها بمصادقة الحكومة البريطانية^(١) .

وعلى الرغم من أن اتفاقية العقير كان يهدف بها أساساً إقرار الأوضاع بين كل من الكويت ونجد والعراق إلا أن السنوات التالية لتوقيع هذه الاتفاقية شهدت استمرار الإغارات على حدود الكويت وكان مبعثها هذه المرة غارات من قبل الإخوان . ولا يستدل من المصادر التي تناولنا أن عبد العزيز كان له دخل في هذه الإغارات الجديدة وإنما الثابت لدينا أن حركة الإخوان مرت بدورين رئيسيين الدور الأول ، استغلهم فيه عبد العزيز لتوسيع ملكه وكانوا في هذا الدور يعملون لحسابه . أما الدور الثاني ، والذي يمكن أن نحدده بمؤتمر العقير فيسجل انقلاب الإخوان على الأمير عبد العزيز بعد أن توسع في ملكه ووجدهم يعارضون إصلاحاته والتطورات التي أخذ يدخلها على الدعوة الوهابية استجابة لمتطلبات الدولة الحديثة .

وقد اعتقد الإخوان أنهم جند عبد العزيز وأنه لا يستطيع أن يتحرك بدونهم^(٢)

(١) راجع النص الكامل لاتفاقية العقير الخاصة بتعيين الحدود بين الكويت ونجد في كتاب عبد الله الفرحان مختصر تاريخ الكويت وعلاقته بالحكومة البريطانية والدول العربية ص ١٣٤ -- القاهرة ١٩٦٠ .

(٢) يمكن الرجوع إلى حركات الإخوان على الكويت — إصدار عبد العزيز الرشيد الجزء العاشر من المجلد الثاني محرر ١٣٨٤ — ص ٢٧ — ٢٨ .

وفي العام التالي لتوقيع اتفاقية العقير (١٩٢٣) تزعم فيصل الدويش غارة من الإحساء إلى الحدود الجنوبية للكويت . ولم يجد الشيخ أحمد الجابر بعد أن وصلت قواته متأخرة وبعد أن حدث اعتداء على المقاطعات الجنوبية إلا أن بيعت لعمد العزير يشكو إليه تلك الأعمال العدوانية بعد أن أحدثت هذه الإغارات رد فعل شديد على سكان الكويت الذين بادروا إلى إعادة بناء السور وترميمه بهدف حماية إمارتهم من خطر الإغارات .

ورد الأمير عبد العزيز على الشيخ أحمد الجابر يعتذر له عن هذا الهجوم كما أكد للمعتمد السياسي البريطاني في الكويت أن هذه الغارة قام بها جماعة من الإخوان الخارجين عليه ، وأنهم في تحركاتهم يخالفون أوامره وأنه غير مسئول عن أعمالهم . وقد أكد ديكسون فيما بعد أن الإخوان كانوا في توسعاتهم يتصرفون ضد رغبات الأمير عبد العزيز بل ويتعد لأوامره . وفي عام ١٩٢٨ أكدت البعثة التي أوفدها الشيخ الكويت إلى ابن سعود بعد غارة عنيفة تعرضت لها الإمارة أسف الأمير ابن سعود ورغبته الجادة في رد الأسلاب التي استولى عليها الإخوان إلى الكويت . وأبلغ الأمير عبد العزيز البعثة الكويتية أنه أصدر أوامره بإعداد قوة عهد بقيادتها إلى أحد أبناء عبد الله بن جلوي حاكم الإحساء ضد الإخوان بهدف استعادة الأسلاب إلى شيخ الكويت . غير أنه في العام التالي (١٩٢٩) بدأت قبائل العجمان تحمض تقدماً واسع النطاق ، وذلك بإغاراتها على قبائل المتفق القاطنة في شمال الكويت واتجاهها إلى التقارب مع الكويت ضد عبد العزيز بن سعود . ولا شك أن الكويت كانت تأمل بتحالفها مع هذه القبائل الثائرة على الحكم السعودي في الإحساء الحصول على مكاسب إقليمية وقبلية ، أو على الأقل تقويض اتفاقية العقير التي لم تخرج منها الكويت بكسب يذكر . ومما يوضح لنا أن شيوخ الكويت كانوا راضين عن العلاقات الودية بينهم وبين العجمان تعاضى حكام الإمارة عن عمليات التعامل التجاري الذي كان يقوم به تجار الكويت مع هذه القبائل مما كان مبعثاً لاستياء الأمير عبد العزيز ولتدخل المعتمد البريطاني في الكويت . ولم يجد الشيخ أحمد الجابر مفرأ إزاء ذلك إلا أن يعود إلى تأكيد تعهداته قبل بريطانيا بعدم التقارب مع القبائل المعادية لابن سعود . ولم يلبث بعد ذلك أن وصل فيصل الدويش إلى شمال الإحساء ودعى الشيخ أحمد الجابر للانضمام لحركة ضد ابن سعود ولا شك أن زعيم

الإخوان كان يقدر جيداً استيلاء شيوخ الكويت من اتفاقية العقير ولذلك رأى أن يستعين بهم لتوسيع نطاق ثورته ضد ابن سعود . ومما يؤكد لنا ذلك أنه دعى بالفعل الشيخ أحمد الجابر إلى الانضمام إليه في ثورته بهدف استرداد المقاطعات الكويتية التي انتزعت من الكويت بمقتضى قرارات مؤتمر العقير ، كما أتبع خطابه هذا بطلب صريح وهو أن يسمح له شيخ الكويت بالتمركز بقواته في الصبيحية ويأتى إلى الكويت ليشرح خططه على أن تقدم له الكويت ما تحتاجه من مدد ومؤن^(١) .

ولا شك أن عروض الدويش قد أحدثت ارتياحاً في الكويت ووجد الكثيرون من أهالي الكويت أن الفرصة سانحة للتخلص من قيود اتفاقية العقير ، والعودة بالحدود الطبيعية للكويت . ولكن الحكومة البريطانية سارعت بإصدار تعليماتها إلى الشيخ أحمد الجابر ألا يستجيب لهذا العرض وأن يمنع الدويش وأتباعه من عبور الحدود بين الإحساء والكويت . ويقرر ديكسون الذى عاصر تلك الأحداث أن الشيخ أحمد استمر على وعوده لبريطانيا على الرغم من قوة الإغراءات التي قدمها إليه الدويش في أن يتزع من السعوديين ممتلكاته المسلوبة في الجنوب ، واسترداد زعامته على العوازم وعجمان ومطير وقد طلبت الحكومة البريطانية من الشيخ أحمد الجابر ، إزاء سيطرة الإخوان على المنطقة من شمال نجد من جل شمير إلى سواحل الخليج وعمرانهم في المنطقة المحايدة بين الإحساء والكويت ، ألا يسمح بأى تعامل مع زعماء الإخوان ، وأن يصد قواتهم في حالة هجومهم على الكويت .

وعلى الرغم مما كان ينتظر من تحالف بين الشيخ أحمد الجابر والإخوان من إتاحة الفرصة للكويت لتحقيق مكاسب خاصة بها أو على الأقل استرداد ما كان لها من ممتلكات انتزعت منها إلا أن هذا التحالف لم يكن من المتوقع له النجاح ويرجع ذلك في تقديرنا إلى عاملين :

أولهما - المدد التقليدي من الكويت والإخوان نتيجة لإغاراتهم السابقة على الكويت وشرقها .
ثانيها - الأهل إلى

وثانها — الضغط البريطاني .

وإزاء رفض الكويت التعاون مع فيصل الدويش تعرضت الكويت لرد فعل شديد قام به الإخوان على حدودها الجنوبية المتأخمة للاحماء في ٣٠ أغسطس سنة ١٩٣٠م دعى إلى تدخل ديكسون المعتمد السياسي في الكويت الذي دعى الدويش إلى مقابله حيث طلب منه الإنسحاب بقواته على الفور ، ولكن الدويش ذكر أنه ليس في نزاع مع الانجليز وأنه وقيلته مطير يتبعان شيخ الكويت ، كما حاول أن يحصل على حق اللجوء في الكويت إزاء تعرض قوته للانهمار نتيجة لموقف الحكومة البريطانية التي تتردد في استخدام القوة لوضع نهاية لحركته . وقد طلب فيصل أن يسمح لأتباعه بالاكتيال من الكويت وأنهم يودون العودة إلى ولائهم للكويت .

وعلى الرغم من أن الدويش وغيره من زعماء مطير والعجمان أعلنوا استسلامهم للسلطات البريطانية في الكويت إلا أن ديكسون رأى تسليم زعماء الإخوان للأمير عبد العزيز بن سعود بعد أن توسط لديه في الترفق بمعاملته لهم والحصول منه على تأكيد بالأبواصل إبداءاته على مقاطعات الكويت والعراق نظير الموقف الذي وقفته الحكومة البريطانية تجاهه إزاء هذه الثورة التي كانت تهدد ممتلكاته بالضياع .

ونظراً لموقف الكويت المحايد ، وهو موقف لا شك أنه فرض عليها خلال ثورة الإخوان ، تسلم الشيخ أحمد الجابر في عام ١٩٣٠م نيشاناً ووعداً من قبل الحكومة البريطانية بأن تبذل كافة مساعيها لكي يزيل عبد العزيز بن سعود جميع القيود التي فرضها على المعاملات التجارية بين نجد والكويت . ويؤكد ديكسون بصدد ذلك أن الموقف المحايد الذي وقفته الكويت خلال ثورة الإخوان كان عوناً رئيسياً لقمع هذه الثورة ويرى بصدد ذلك أن بريطانيا أسدت إلى ابن سعود جيلاً وذلك بإبقائها كلاً من الكويت والعراق على الحياد خلال هذه الأزمئة (١) .

وبالفعل استمرت الحكومة في بذل وساطتها لإقرار العلاقات بين الكويت والسمودية وتحقق ذلك في عام ١٩٣٧ حينما أعلن الملك عبد العزيز بن سعود رفعه جميع القيود على تجارة رعاياه^(١) وتمهد الطريق في عام ١٩٤٠ لعقد اتفاقية بين الكويت والسمودية حينما ذهب الشيخ حافظ وهبة وزير الخارجية للسمودية إلى الكويت لحل هذا النزاع الذي طال عليه الأمد وبعد مفاوضات بين الشيخ والوكيل السياسي بالكويت استمرت قرابة أسبوعين وقعت ثلاثة اتفاقيات هامة بين البلدين وهي معاهدة صداقة وحسن جوار ومعاهدة تجارية ومعاهدة ثالثة لتبادل تسليم المجرمين^(٢).

وبعد عامين من توقيع تلك المعاهدات تبودلت مذكرتان رسميتان في ٢٠ أبريل سنة ١٩٤٢ بشأن تبعية القبائل للكويت والسمودية بين الشيخ يوسف ياسين والسير بيرو المفوض البريطاني في جدة جاء فيهما أنه حيث توقعت السمودية في تدوين اتفاقية الصداقة وحسن الجوار فيما بين البلاد العربية والسمودية والكويت فقد استقر التفاهم على تحديد القبائل التابعة للسمودية والتابعة للكويت . أما فيما يتعلق بمسألة ما إذا كانت أية من هذه القبائل تتبع الكويت فهذا أمر يسوى بين السمودية الكويت ، وفي حالة عدم التوصل إلى اتفاقية من هذا القبيل فيمكن أن يتم ذلك عن طريق لجنة مشتركة تعين في وقت تتفق عليه الحكومتان^(٣) .

والملاحظ أن العلاقات الودية بدأت تسير على وئام بين الكويت والسمودية خاصة بعد توقيع المعاهدة الدفاعية بين البلدان ١٩٤٧ ولاشك أن اكتشاف البترول في كل من الكويت والسمودية وتصديره على نطاق واسع قد أزال الخلاف الاقتصادي التقليدي بين الكويت والسمودية والذي لاحظناه خلال عرضنا السابق .

(١) المصدر السابق ص ٣٣١ .

(٢) دليل الكويت - الباب الأول - الكويت بين الماضي والحاضر ص ١١ .

(٣) راجع في ذلك المذكرتان المتبادلتان بين الشيخ يوسف ياسين وزير الخارجية السمودية وبين السير ه.و. استومهوريرد المفوض البريطاني في جدة في ٢٠ أبريل سنة ١٩٤٢ في المجلد الثاني من وثائق الحكومة السمودية الخاصة بالتحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبو ظبي وبين الملكة العربية السمودية ج ٢ - ص ٦٥ و ١٩٦٧ .

ومع ذلك فإن اكتشاف البترول في المنطقة المحايدة دفع الدولتان إلى محاولة الوصول إلى اتفاق جديد بشأن تبعية بعض الجزر وماسكتها للسعودية أو الكويت في نطاق المنطقة المحايدة، وقد بذلت محاولة من ذلك النوع في عام ١٩٥١ وتجددت المباحثات بين مندوبي السعودية ومندوبي الكويت في أبريل ١٩٦١^(١) غير أن هذه المباحثات لم تصل إلى نتيجة إيجابية حتى وقتنا الحاضر (١٩٦٨) .

الدكتور جمال زكريا قاسم

(١) حافظ وهبة شبه جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٨٩ .

مصادر البحث

أولاً - وثائق غير منشورة :

Public Record Office

— Turkish Jurisdiction along the Arabian Coast of the Persian Gulf, F.O. 785108.

— Memorandum Respecting Koweit, F.O. 7815174.

India Office Political and Secret Library,

— Political and External Files, vol. 20, File 1508.

India Office Political and Secret Department, Letters from the Persian Gulf, vol. 18.

ثانياً - وثائق منشورة :

— Aitchison, C.U., A Collection of Treaties, Engagements and Sands relating to India and Neighbouring Countries, vol. X, Persian Gulf, Calcutta, 1892.

— British Intelligence Service, A Handbook of Arabia, vol. I, General, London, 1916.

— Gooch and Temperly, British Documents on the Origins of War, 1898-1914, vol. X, Part II, London, 1938.

Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, 2 vols.

وثائق سعودية :

التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبو ظبي وبين المملكة العربية السعودية — عرض الحكومة السعودية — ٣ مجلدات — القاهرة ١٩٥٧ .

ثالثاً - المصادر العربية :

— ابن بشر (عثمان) ، عنوان المجد في نجد — القاهرة ١٣٤٩ .

— أحمد مصطفى أبو حاكمة ، تاريخ الكويت — الجزء الأول — إصدار

لجنة تاريخ الكويت — الكويت ١٩٦٧ .

— لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، (مجهول المؤلف

وتحقيق أبو حاكمة) — بيروت ١٩٦٧ .

— البصرى (عثمان بن مند) سبائك المسجد ، بومباي — ١٣١٥ .

- بيرين (جاكلين) ، اكتشاف جزيرة العرب (مترجم) — بيروت ١٩٦٢ .
- جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي — دراسة لتاريخ الإمارات العربية —
القاهرة ١٩٦٧ .
- المؤثرات السياسية للحرب العالمية الأولى على إمارات الخليج العربي ،
دراسة منشورة في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية — العدد ١٥ —
القاهرة ١٩٦٨ .
- حافظ وهبة ، شبه جزيرة العرب في القرن العشرين — القاهرة ١٩٥٦ .
- حسين خلف الشيخ خزعل ، تاريخ الكويت السياسي — ٤ أجزاء .
- حسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام — وتوجد نسخة مصورة بدار
الكتب المصرية .
- راشد عبد الله الفرحان ، مختصر تاريخ الكويت وعلاقته بالحكومة
البريطانية والدول العربية — القاهرة ١٩٥٩ .
- سيف مرزوق الشماليان ، من تاريخ الكويت — القاهرة ١٩٥٩ .
- عبد الله الحاتم ، من هنا بدأت الكويت — دمشق .
- لوي مار ج . ج ، دليل الخليج (مترجم) — ٧ مجلدات — حكومة
قطر — الدوحة ١٩٦٧ .
- صلاح الدين الختار ، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها
في جزئين — بيروت ١٩٥٧ .
- صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي — القاهرة ١٩٦٦ .
- يوسف بن عيسى القناعي ، صفحات من تاريخ الكويت — القاهرة
سنة ١٩٤٦ .

رابعاً - المصادر الأوربية :

- Blunt, Lady Année, A Pilgrimage to Nejd, The Cradle of Arab Race, 2 vols., London, 1881.
- Brydges, Harford Jones, An Account of the Transactions of His Majesty's Mission to the Court of Persia in the years 1810-1811, to which is appended a brief history of Wahhaby, 2 vols., London, 1834.
- Dickson, H.R.P., Kuwait and her Neighbours, London, 1956.
- Graves, Philip, The Life of Sir Percy Cox, London, 1931.
- Kelly, J.B., Britain and the Persian Gulf, London, 1968.
- Neibuhr, Carsten, Travels through Arabia and other Countries in the East, 2 vols., Edinburgh, 1792.
- Rouire, M., La question de Golfe Persique, Le règlement de questions de Mascate et de Kowelt, Revue des deux Mondes, cinquième période, tome XVII, Paris, 1903.

خامساً - الدوريات :

- مجلة الكويت — إصدار : عبد العزيز الرشيد — الكويت .
- مجلة الشرق — إصدار لويس اليسوعي — بيروت .
- دليل الكويت — دليل شامل أصدرته غرفة تجارة وصناعة الكويت عن دولة الكويت .